

وقوله في هذه الآية الكريمة : { فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا } قيل أمرت أن تقول ذلك باللفظ . وقيل أمرت أن تقوله بالإشارة . وكونها أمرت أن تقوله باللفظ هو مذهب الجمهور ؛ كما قاله القرطبي وأبو حيان ، وهو ظاهر الآية الكريمة ؛ لأن ظاهر القول في قوله تعالى : { فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ } أنه قول باللسان . واستدل من قال : إنها أمرت أن تقول ذلك بالإشارة بأنها لو قالت باللفظ أفست نذرها الذي نذرتة ألا تكلم اليوم إنسياً ، فإذا قالت لإنسي بلسانها إني نذرت للرحمن صوماً فقد كلمت ذلك الإنسي فأفست نذرها . واختار هذا القول الأخير لدلالة الآية عليه ابن كثير رحمه الله ، قال في تفسير هذه الآية { فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا } فَلَانُ أَكَلَامِ الْيَوْمِ إِنْ سِيًّا { المراد بهذا القول الإشاء إليه بذلك لا أن المراد القول اللفظي لئلا ينافي { فَلَانُ أَكَلَامِ الْيَوْمِ إِنْ سِيًّا } وأجاب المخالفون عن هذا بأن المعنى { فَلَانُ أَكَلَامِ الْيَوْمِ إِنْ سِيًّا } قوله : { فَلَانُ أَكَلَامِ الْيَوْمِ إِنْ سِيًّا } فقد رأيت كلام العلماء في الآية . وإن القول الأول يدل عليه ظاهر السياق . وإن الثاني يدل عليه قوله : { فَلَانُ أَكَلَامِ الْيَوْمِ إِنْ سِيًّا } لأنه يدل على نفي الكلام للإنسي مطلقاً . قال أبو حيان في البحر : وقوله ( إنسياً ) لأنها كانت تكلم الملائكة . ومعنى كلامه أن قوله ( إنسياً ) له مفهوم مخالفة ، أي بخلاف غير الإنسي كالملائكة فإني أكلمه . والذي يظهر لي أنه لم يرد في الكلام إخراج المفهوم عن حكم المنطوق ، وإنما المراد شمول نفي الكلام كل إنسان كائناً من كان . . . مسألة .

اعلم أنه على هذا القول الذي اختاره ابن كثير أن المراد بقوله { فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا } أي قولي ذلك بالإشارة يدل على أن الإشارة تنزل منزلة الكلام ، لأنها في هذه الآية سميت قولاً على هذا الوجه من التفسير . وسمع في كلام العرب كثيراً إطلاق الكلام على الإشارة ، كقوله : { فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا } أي قولي ذلك بالإشارة يدل على أن الإشارة تنزل منزلة الكلام ، لأنها في هذه الآية سميت قولاً على هذا الوجه من التفسير . وسمع في كلام العرب كثيراً إطلاق الكلام على الإشارة ، كقوله : % ( إذا كلمتني بالعيون الفواتر % رددت عليها بالدموع البوادر ) % . وسنذكر هنا إن شاء الله تعالى ما يدل من النصوص على أن الإشارة المفهومة تنزل منزلة

الكلام ، وما يدل من النصوص على أنها ليست كالكلام ، وأقوال العلماء في ذلك . اعلم أنه دلت أدلة على قيام الإشارة المفهمة مقام الكلام ، وجاءت أدلة أخرى يفهم